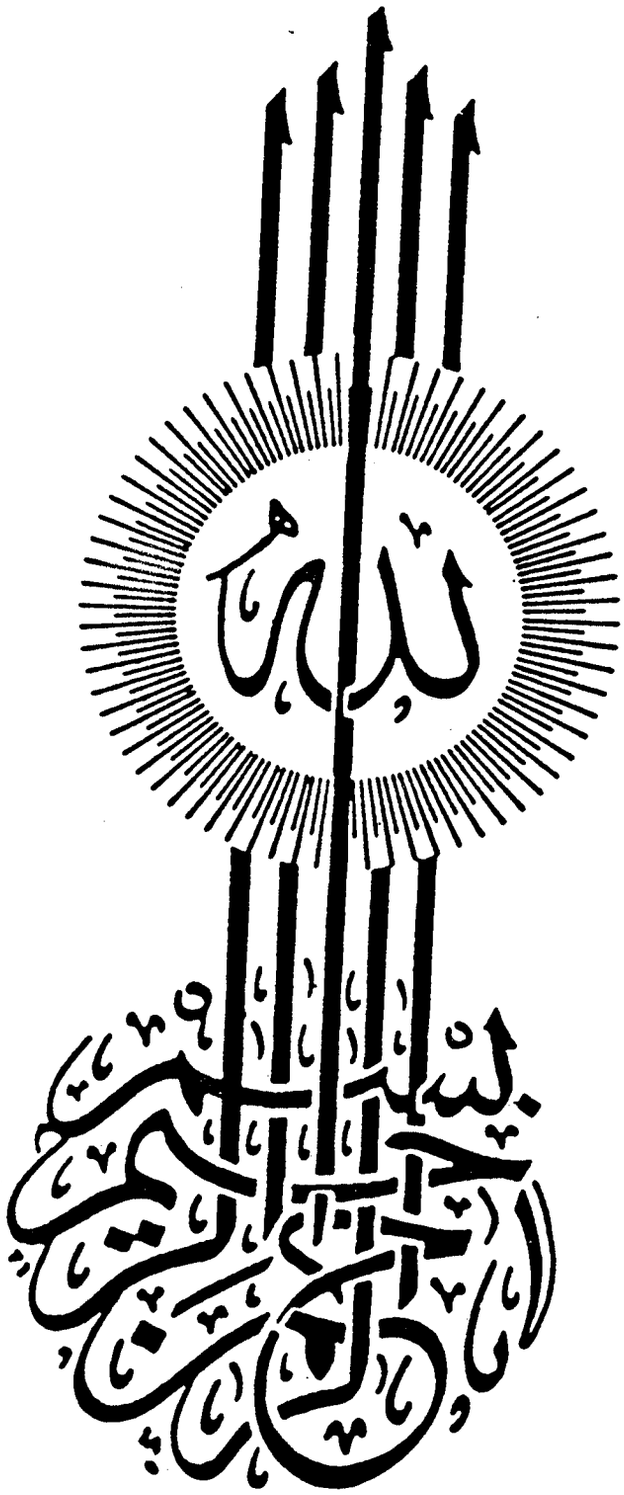

شكـــر وتقـدير

أحمدُ الله عز وجل وأثنى عليه كثيراً وأشكره على نعمائه التـــى لاتُعَـدُّ ولاتُحْصَىَ وأصلى وأسلم على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فبمناسبة اتمـــام هذا البحث فانه يتعين على أن أتقدم بالشكر والعرفان الى كل من هيَّأَ لى وأعاننى على المضى فيه واتمامه ، وأخص بالذكر أبًا بلال زوجى الكريم مصطفى عمر على الـــذى غرس فى حُب العلوم الشرعيَّة الإسلامية ، والذى ضحى وبذل الجـهد فـــى مساعدتى خلال الدراسات كلها رغم مشاغله الكثيرة فى سبيل الدعوة حتى وافاه الأجل المحتوم وهو على ذلك اللهم اجزه عنى خيرا واغفر له وارحمه يا أرحم الراحمين .

كمـــا أتقـدم بخـالص الشكر والتقدير لجامعة أم القرى الغراء ولقسم الدِراسات العليا فيها حيث مَنَحَتْنِى هذه الفرصة الكريمة لدِراسةِ العلوم الشرعية وأعانتنى على ظروفى الخاصة الصعبة .

وأخـص بالشكر والتقدير أيضا المشرف على هذه الرسالة فضيلـــة الشـيخ الدكتـــور نـــزار بـــن عبـــد الكـــريم الحـمدانى لتوجيهاتـــه وملاحظاتـــه الدقيقة فى اتمام هذه الرسالة ، حيث كـــان يقـــرأ كـــل مـــا أكتب ، ويضع توجيهاتُه وتعليقاتُه على كل مايحتاج الى بيان أو شرح أو تعليق من فقرات البحث وفصوله فجزاه الله عنى خير الجزاء .

ثم أخص بالشكر والتقدير الأخت الفاضلة الدكتورة لطيفة قارى رئيسة قسم الدِرَاسَات الاسلامية فى جامعةُ أم القرى ـ قسم البنات لاهتمامها الدائم وحثها لى على اتمام هذه الرسالة .

ثم اتقدم بشكرى لكل من قدم لى يد العون من أخوان واخوات فى الله . ارجو من الله الكريم الجواد أن يجزل لهم العطاء ، ويوفقنا جميعا الى مايحبه ويرضاه ، والحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

المقدمة

الحمد لله الذى امتن على عباده ف {مكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شىء} (القصص : ٥٧) ، وتفضل عليهم بأن جعل لهم {حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم} (العنكبوت : ٦٧) ، وخص بلده الحرام هذا بأحكام زيادة فى تعظيمه وهيبته وتشريفه {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم} . (الحج : ٢٥)

احمده واشكره واتوب اليه واستغفره ، واشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له ، واشهد ان سيدنا وإمامنا ونبينا محمدا عبده ورسوله أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وتركنا على محجة بيضاء نقية ليلها كنهارها ، مازاغ عنها الا هالك ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين وصحابته الكرام الطاهرين ومن اهتدى بهديه واتبع سنته الى يوم الدين .

وبعد ..

فان معرفة أحكام البلد الأمين الذى خصه الله بها من مهمات الدين التى يتقرب الى الله بمعرفتها والإلتزام بحدودها واننا فى عصر كثر الجهل بالدين واحكامه بعامة وبأحكام مكة وآدابها بخاصة ، لذا عن لى أن أكتب فى هذا الموضوع لتحصيل الفوائد الخاصة والعامة فاتعلم - انا شخصيا - واتفقه بهذه الأحكام الجليلة ، ولكى أعلم غيرى وأنشر هذه المعرفة بينهم متقربة فى ذلك الى الله الكريم فأساله - سبحانه وتعالى - ان يوفقنى والمسلمين لما يحب ويرضى ويجعل أعمالنا سديدة راشدة خالصة لوجهه الكريم .

منهجي في البحث :

كان من منهجي في البحث أن أذكر رأي العلماء في المسألة وأحرر محل النزاع فيها ثم أسوق أدلة كل مذهب وأناقشه ثم أرجح القول الذي يسلم لي دليله .

والتزمت أن آخذ قول المذهب من مراجعه المعتمدة في المذهب ان وجدت وتيسر لي ذلك ، وخرجت الأحاديث والآثار التي أوردتها في البحث للإستدلال بها وأخذتها من مراجعها الأصلية قدر الاستطاعة ، وفسرت الكلمات الغريبة التي ترد في النصوص كما ترجمت لأغلب الأعلام الواردة في البحث التي تحتاج الى تعريف .

وعندما بدأت الجمع في هذا الموضوع وجدت أن كتاب أخبار مكة للأزرقي هو عمدة الكثير من المؤلفين ، فلم يكتب أحد بعده الا أخذ منه ثم استفدت من كتاب أخبار مكة للفاكهي وهو أجمع وأشمل من كتاب الأزرقي ، وميزته أن محققه خرج جميع الأحاديث الواردة الذي جعلت ترجيح المسائل سهلة .

خطة البحث :

اقتضت ضرورة البحث ومنهج دراسته تقسيمه الى قسمين ، ثم الى فصول ومباحث ومطالب .

القسم الأول : التمهيد .

وهو في التعريف بالبلد الحرام ، حرمته ، وفضله .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بالبلد الحرام ، وبيان حدود الحرم ، وبيان حدود مواطن النسك . وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : التعريف بالبلد الحرام . وفيه مطلبان

المطلب الأول : في أسماء البلد الحرام .

المطلب الثانى : نبذة عن نشأة البلد الحرام .

المبحث الثانى : بيان حدود الحرم . وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : تعريف الحدود لغة واصطلاحا .

المطلب الثانى : مادُكِرَ فى أسباب نصب أنصاب الحرم .

المطلب الثالث : تجديد أنصاب الحرم .

المبحث الثالث : بيان حدود مَوْطِنِ النسك .

الفصل الثانى : حرمة البلد الحرام ، وفضله على سائر البقاع ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حرمة البلد الحرام وفضله على سَائِر البقاع ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حرمة البلد الحرام .

المطلب الثانى : خُصُوصِية الأمن فيه .

المبحث الثانى : فضل البلد الحرام على سائر بقاع الأرض ، وفضل الْمُجَاوَرَة فيه . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : فضل البلد الحرام على سائر بقاع الأرض.

المطلب الثانى : فضل المجاورة فيه .

القسم الثانى : الأحكام التى يَختص بها البلد الحرام وفيه ثلاثة أبواب .

البابُ الأول : أحكام العبادات فى البلد الحرام . وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : الأحكام المتعلقة بدخول الحرم ، وفيه مبحثان .

المبحث الأول : أحكام دخول المسلم الحرم للنسك ، ولغير النسك . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : حكم دخول المسلم الحرم للنسك .
المطلب الثانى : حكم دخول المسلم الحرم لغير النسك .
المبحث الثانى : أحكام دخول غير المسلم الحرم .
الفصل الثانى : تضعيف الحسنات والسيئات فى البلد الحرام . وفيه مبحثان :
المبحث الأول : تضعيف الحسنات فى البلد الحرام . وفيه أربعة مطالب :
المطلب الأول : مضاعفة أجر الصلاة .
المطلب الثانى : هل المضاعفة تعم جميع الحرم أو تخص المسجد فقط .
المطلب الثالث : هل يشمل هذا التضعيف صلاة الفريضة أم يعم النوافل أيضا .
المطلب الرابع : هل تضاعف الحسنات فى جميع أعمال الخير كذلك .
المبحث الثانى : حكم تضعيف السيئات فى البلد الحرام .
الفصل الثالث : حاضرو المسجد الحرام ومواقيت احرامهم بالحج والعمرة . وفيه مبحثان :
المبحث الأول : من هم حاضرو المسجد الحرام .
المبحث الثانى : مواقيت إحرامهم بالحج والعمرة .
الفصل الرابع : حصر اجزاء الدماء المتعلقة بالنسك فى البلد الحرام ، وفيه أربعة مباحث :
المبحث الأول : دم الجزاء (لترك واجب أو ارتكاب محظور فى الحج والعمرة) .
المبحث الثانى : دم الشكر (دم التمتع والقران فى الحج) .

المبحث الثالث : دم الإحصار والفوات وفيه مطلبان :

المطلب الأول : دم الإحصار .

المطلب الثاني : دم الفوات .

المبحث الرابع : موضع اجزاء البدل عن الدماء (الاطعام والصيام) .

المبحث الخامس : حكم اخراج لحوم الهدى خارج البلد الحرام .

الباب الثاني : أحكام المعاملات في البلد الحرام . وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : رباع مكة وبيوتها ومدى مشروعية بيعها واجارتها .

الفصل الثاني : الملكية الفردية لمواطن النسك والاختصاص فيها وآثار ذلك .

الفصل الثالث : اللقطة في البلد الحرام .

الفصل الرابع : احتكار الطعام في البلد الحرام .

الفصل الخامس : التسعير في البلد الحرام .

الباب الثالث : أحكام العقوبات في البلد الحرام . وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : في حمل السلاح والقتال بمكة . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حكم حمل السلاح في البلد الحرام .

المبحث الثاني : حكم القتال بمكة .

الفصل الثاني : في اقامة الحدود في البلد الحرام . وفيه مبحثان :

المبحث الأول : حكم من أصاب حدا فى البلد الحرام .

المبحث الثانى : حكم من أصاب حدا خارج الحرم ثم لجأ اليه .

الفصل الثالث : فى الصيد وقطع الشجرة فى البلد الحرام ، والعقوبات المترتبة على ذلك . وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الصيد فى البلد الحرام . وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : حكم صيد البر فى الحرم على كل من المحرم والحلال .

المطلب الثانى : تعيين جزاء صيد البر فى الحرم .

المطلب الثالث : جزاء المتعمد قتل الصيد فى الحرم والمخطىء والناسى .

المطلب الرابع : الصيد المحرم قتله فى الحرم .

المطلب الخامس : الصيد من آبار الحرم وعيونه .

المبحث الثانى : قطع الشجرة فى البلد الحرام . وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : قطع ما انبته الآدمى من الشجر .

المطلب الثانى : جزاء ماقطع مما انبته الله تعالى فى الأرض .

المطلب الثالث : تسريح البهائم فى كلأ الحرم لترعى .

المطلب الخامس : أخذ ثمار مكة وأوراق أشجارها .

المطلب السادس : قطع الشوك .

المبحث الثالث : العقوبات المترتبة على قتل الصيد وقطع الشجرة . وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : فى المراد بالمثل فى الآية .

المطلب الثانى : هل قاتلُ الصيدِ مخير فى الكفارة بين هذه الأشياء الثلاثة المذكورة فى الآية .

المطلب الثالث : فى شروط العدلين وماهو وجه حكم العدلين فى المثل أو الطعام أو الصيام .

المطلب الرابع : هل ينظرُ فى القضايا التى نُظر فيها الصحابة والتابعون .

المطلب الخامس :ما الحكم اذا اشترك مُحرِمُونَ فى قتل صيد .

الفصل الرابع : مايباح قتلُه فى البلد الحرام من الحيوانات .

الفصل الخامس : نقل التراب والحجارة والماء من الحرم واليه .

الخاتمة .

الفهارس :

فهرس الآيات .

فهرس الأحاديث .

فهرس الآثار .

فهرس الألفاظ المفسرة .

فهرس الأعلام المترجم لهم .

قائمة المراجع

فهرس الموضوعات .

القسم الأول

التمهيد

التمهيد

وهو فى التعريف بالبلد الحرام ، حرمته ، وفضله .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بالبلد الحرام ، وبيان حدود الحرم ، وبيان مواطن النسك .

الفصل الثانى : حرمة البلد الحرام ، وفضله على سائر البقاع .

الفصل الأول

التعريف بالبلد الحرام وبيان حدود الحرم وبيان مواطن النسك

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالبلد الحرام .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : فى أسماء البلد الحرام .

المطلب الثانى : نبذة فى نشأة البلد الحرام .

المبحث الثانى : بيان حدود الحرم .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الحدود لغة واصطلاحا .

المطلب الثانى : ماذكر فى أسباب نصب أنصاب الحرم .

المطلب الثالث : تحديد أنصاب الحرم .

المبحث الثالث : بيان حدود موطن النسك .

الفصل الأول

التعريف بالبلد الحرام
وبيان حدوده وحدود مواطن النسك

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالبلد الحرام

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : فى أسماء البلد الحرام

قال تعالى : {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}(١) . وهذه القبلة التى يتجه اليها المسلمون منذ عصر النبوة حتى اليوم هى البيت الحرام الكعبة المشرفة ، وهى فى البلد الحرام أم القرى مكة المكرمة ، هذه هى قبلة المسلمين وبلدهم الحرام (مكة) .

فمكة المكرمة هى بلد الله الحرام الذى فيه المسجد الحرام وهو أول مَسْجِد وُضِعَ للناس . ولها أسماء كثيرة(٢) ، ومن أشهر هذه الأسماء :

---

(١) سورة البقرة : ١٤٤

(٢) منها : البَساسة ، وأم رُحْم ، ومعاد ، والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها ، والبيت العتيق لأنه عتق من الجبابرة ، والرأس ، والحرم ، وصلاح ، والعرش ، والعريش ، والقادس لأنها تقدس من الذنوب أى تطهر ، =

(أ) مكة :

قال تعالى : {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا}(١) .

وقد سميت مكة (بالميم) لأنها تمك الجبارين أى تذهب نخوتهم(٢) ، وقيل لأنها تَمُكُّ الفاجر عنها أى تُخْرِجُه ، أو لأنها تُجْهِد أهلها ، من قولهم تَمَكَّكَتْ العَظْمُ اذا أَخْرَجْتَ مُخَّه ، أو لأنها تَجْذِبُ الناس اليها من قولهم : امْتَكَّ الفَصِيل مافى ضَرْع أمه اذا لم يَبْقَ فيه شيئاً ، وقيل لقلة مائها مِنْ قولهم مَكَّ الثدى أى مَصَّهُ ، لأنهم كانوا يَمْكُكُونَ الماءَ ويستخرجونه بتكلُّفٍ وقيل لأنها تَمُكُّ الذنوب أى تذهب بها(٣) .

(ب) بكة :

قال تعالى : {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ}(٤) .

وسميت بكة لأنها كانت تَبُكُّ أعناق الجبابرة ، اذا الحَدُّوا فيها بظلم ، وقيل لازدحام الناس فيها(٥) .

= والمَقْدَسَة ، والناسة ، والباسة بالباء الموحدة لأنها تَبُسُّ أى تحطم المُلحدين ، وكوثر باسم بُقْعَة كانت منزل بنى عبد الدار ، والمذهب وازحم ، وأم صبح ، وأم روح والبنية والعروض والسيل والرتاج ، وطيبة ، وقَرْيَة النَّمْل ، ونقرة الغراب .
انظر : معجم البلدان لياقوت الحموى ١٨٢/٥ ، شفاء الغرام باخبار البلد الحرام للفاسى ٤٧/١ .

(١) سورة الفتح : ٢٤
(٢) النخوة : الكبر والعظمة ، مختار الصحاح للرازى ، (نخا) ص ٦٥١ .
(٣) لسان العرب لابن منظور ، (مَكَك) ٤٩١/١٠ ، مَعْجَم البلدان ١٨١/٥-١٨٢ ، تاج العروس للزبيدى ١٧٩/٧ .
(٤) سورة آل عمران : ٩٦
(٥) لسان العرب ٤٠٢/١٠ (بكك) ، معجم البلدان ١٨١/٥ .

(ج) البلدة :

كما في قوله تعالى : {إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا}(١) .

فهي التي حرّمها أن يسفكوا فيها دماً حراماً ، أو يظلموا فيها أحدا ، أو يُصاد صيدُها ، أو يُختلى خلاها(٢) .

(د) البلد :

كما في قوله تعالى : {لا أقسم بهذا البلد}(٣) ، وقد أقسم الله بهذا البلد ليدل ذلك على غاية فضل هذا البلد(٤)(٥) .

(هـ) أم القرى :

كما في قوله تعالى : {وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ...}(٦) .

وقوله تعالى : {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا}(٧) .

وسميت أم القرى لأنه أشرف البلاد وأحبها الى الله ، وقيل لأن فيها بيت الله ، وجرت العادة بأن الملك وبلده مقدمان على جميع الأماكن .

وسميت أماً لأن الأم متقدمة ، وقيل لأنها قبلة تؤمها جميع الأرض(٨) .

وسمعت أنها سميت سرة الأرض ، ووسطها وابتداء تكوينها وماحولها تبع لها . والله أعلم .

---

(١) سورة النمل : ٩١
(٢) تفسير ابن جرير ٢٤/٢٠ .
(٣) سورة البلد : ١
(٤) التفسير الكبير للرازي ١٨٠/٣١ .
(٥) البلد والبلدة يطلقان على كل موضع من الأرض عامرا ، فلعل البلد والبلدة ليسا اسمين لمكة وانما المراد بهما في الآيتين السابقتين مكة بسبب اسم الاشارة (هذه) و(هذا) والله أعلم .
(٦) سورة الأنعام : ٩٢
(٧) سورة الشورى : ٧
(٨) شفاء الغرام ٤٨/١ ،

(و) معـــاد :

كما فى قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ}(١) . روى أنَّ ابن عباس(٢) رضى الله عنهما فى قوله تعالى : {لرادك الى معاد} قال : الى مكة .(٣)

هذا ويطلق اسم (المسجد الحرام) فى كتاب الله ويراد به أشياء - كما قال ابن القيم(٤) - فيراد به نفس البيت كما فى قوله تعالى : {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}(٥) ، ويراد به المسجد الذى حول البيت كما فى قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ...}(٦) ، ويراد به الحرم كله كما فى قوله تعالى : {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ...}(٧) ، وكذلك قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ...}(٨) .

---

(١) سورة القصص : ٨٥

(٢) ابن عباس : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يقال له الحبر لكثرة علمه ، دعا له النبى صلى الله عليه وسلم بالحكمة مرتين ، قال ابن مسعود : نِعْمَ تُرْجُمَان القرآن مات سنة ٦٩هـ .
انظر : تهذيب التهذيب ٢٧٦/٥ ، الإصابة ٣٣٠/٢ ومابعدها مع الاستيعاب .

(٣) صحيح البخارى مع فتح البارى ٥٠٩/٨ .

(٤) ابن القيم : محمد بن أبى بكر بن أيوب بن سعد بن حُرَيز الزرعى ، الحنبلى ، المعروف بابن قَيِّم الجوزية (شمس الدين ، أبو عبد الله) فقيه ، أصولى ، مجتهد ، مفسر متكلم ، وُلِدَ سنة ٦٩١هـ بدمشق وتفقه وأفتى ، ولازم ابن تيمية ، وسجن معه فى قلعة دمشق ، توفى فى ١٣ رجب ٧٥١هـ .
انظر : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١٤٣/٢ ، معجم المؤلفين ١٠٦/٩ .

(٥) سورة البقرة : ١٤٤

(٦) سورة الحج : ٢٥

(٧) سورة الاسراء : ١

(٨) سورة التوبة : ٢٨

المطلب الثانى : نبذة فى نشأة البلد الحرام

لَمّا قَدَرَ الله ان يكون هذا الوادى المبارك مَهْداً لتوحيده أمر ابراهيم عليه السلام بالهجرة اليه تمهيدا لكونه مهدًا لآخر النُبُوّاتِ ومهبط الوحى على خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .

وابراهيم عليه السلام هو من بلدةٍ يُقال لها أُور على الشاطىء الغربى من نهر الفُرات ، بالقُربِ من الكوفة ، وهو الجد الأعلى للعرب المستعربة (١) ، وهاجر عليه السلام منها الى حرّان (٢) ، ومنها الى فلسطين ، فاتخذها قاعدةً لدعوته ، وكانت له جولات فى أرجاءِ هذه البلاد وغيرها ، وقدمَ مرة الى مصر ، وقد حاول فرعون مصر كيدا وسوءاً بزوجته سارة ، ولكن الله رد كَيْدَهُ فى نَحْرِه ، واخدمها هاجر - اى أعطاها خادمة لها - وزوجتها سارة ابراهيم .

ورجع ابراهيم الى فلسطين ، ورزقه الله من هاجر اسماعيل ، وغارت سارة حتى ألجأت ابراهيم الى نفى هاجر مع ولدها الصغير - اسماعيل - فقدمَ بهما الى الحجاز واسكنهما بواد غير ذى زرع عند بيت الله المُحَرَّم الذى لم يكن اذ ذاك الا مرتفعا من الأرض كالرابية (٣) ، تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وشماله ، فوضعهما عند دوحةٍ (٤) فوق زمزم فى أعلى المسجد

---

(١) العرب المستعربة : قوم من العجم دخلوا فى العرب ، فتكلموا بلسانهم . لسان العرب (عرب) ١/٥٨٨ .

(٢) حران : هى مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور ، وهى على طريق المُوصِل والشام والروم ، وقيل سميت بهارَان اخى ابراهيم عليه السلام ، لأنه أول من بناها ، فعُرِبَت فقيل حران . معجم البلدان ٢/٢٣٥ .

(٣) الرَابِيَة كل ما ارتفع من الأرض وَرَبا ، لسان العرب ، (ربا) .

(٤) الدوحة : الشجرة العظيمة . ترتيب القاموس المحيط للزواوى ، مادة (دوح) .

وليس بمكة يومئذ احد ، وليس بها ماء ، فوضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء(١) فيه ماء ، ورجع الى فلسطين ، ولم تمض أيام حتى نفد الزاد والماء ، وهناك تفجرت بئر زمزم بفضل الله ، فصارت قوتا لهما وبلاغا الى حين .

وجاءت قبيلة يمانية وهي جرهم ، فقطنت قرب ماء زمزم باذن من أم اسماعيل ، يقال انهم كانوا قبل ذلك فى الأودية التى باطراف مكة ، وقد صرحت(٢) رواية البخارى انهم نزلوا مكة بعد اسماعيل ، وانهم كانوا يمرون بهذا الوادى قبل ذلك .

وقد كان ابراهيم يرحل الى مكة بين آونة وأخرى ليطالع تركته ، ولا يعلم كم كان عدد هذه الرحلات ، الا أن المصادر التاريخية حفظت أربعة منها .

فقد ذكر الله تعالى فى القرآن انه أرى ابراهيم فى المنام انه يذبح اسماعيل ، فقام بامتثال هذا الأمر . قال تعالى : {فلما أسلما وتله(٣) للجبين ونادينا أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزى المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح(٤) عظيم(٥) } .

[فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين] .

---

(١) السقاء : يكون للبن والماء ، والقربة تكون للماء خاصة ، مختار الصحاح للرازى ص ٣٠٥ .

(٢) انظر : صحيح البخارى مع فتح البارى ٣٩٦/٦ .
والبخارى هو : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخارى ابو عبد الله ، ولد سنة ١٩٤هـ ، وتوفى سنة ٢٥٦هـ ، كان حسن المعرفة وحسن الحفظ ، قال : ما أدخلت فى كتابى الا ماصح .
تهذيب التهذيب ٤٧/٩ .

(٣) تله : يتله تلا ، فهو متلول وتليل : صرعه ، ومعنى تله صرعه كما تقول كبه لوجهه . وبه فسر قوله تعالى : وتله للجبين ، وقيل ألقاه على عنقه وخده ، لسان العرب ٧٧/١١ (تلل) .

(٤) ذبح : أصل الذبح شق حلق الحيوانات والذبح المذبوح ، معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى ص ١٨٠ .

(٥) سورة الصافات : ١٠٥-١٠٧ .

وهذه القصة تتضمن رحلة واحدة قبل أن يَشُبَّ اسماعيل ، أما الرِّحلاتُ الثلاثُ الأخر فقد رواها البخارى بطولها عن ابن عباس مرفوعا (١) .

وملخصها أن اسماعيل لما شب ، وتعلم العربية من جرهم وأنفسهم (٢) وأعجبهم حين شبّ فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم ، وماتت أمه ، وبدا لابراهيم عليه السلام أن يطالع تركتهُ فجاء بعد هذا الزواج ، فلم يجد اسماعيل فسأل إمرأتهُ عنه وعن احوالهما ، فشكت اليه ضيق العيش فاوصاها أن تقول لاسماعيل أن يُغَيِّرَ عَتَبَةَ بابه ، وفهم اسماعيل عليه السلام ما أراد أبوه فطلق امرأته تلك ، وتزوج إمرأةً أخرى وهى ابنة كبير جرهم وسيدهم .

وجاء ابراهيم عليه السلام مرة أخرى بعد هذا الزواج فلم يجد اسماعيل عليه السلام ، فرجع الى فلسطين بعد أن سأل زوجته عنه وأحوالهما ، فأثنت على الله ، فأوصى الى اسماعيل أن يثبت عَتَبَةَ بابه .

وجاء مرة ثالثة فلقى اسماعيل عليه السلام وهو يَبْرِى نبلا له تحت دَوْحةٍ قريبا من زمزم ، فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد ، والولد بالوالد ، وكان لقاؤهما بعد فترة طويلة من الزمن ، وفى هذه المرة بنيا الكعبة ، ورفعا قواعدها وهما يقولان : {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٣) ، وأذّن ابراهيم عليه السلام فى الناس بالحج

---

(١) صحيح البخارى مع الفتح ٣٩٦/٦ ، كتاب الأنبياء .
(٢) أنفسهم : بفتح الفاء من النفاسة ، والمعنى أى كثرت رغبتهم فيه ، انظر : فتح البارى ٤٠٣/٦ .
(٣) سورة البقرة : ١٢٧

كما أمره الله (١) .

فدعا ابراهيم عليه السلام لمكة وأهلها ، قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (٢) .

وكان هذا الدعاء لما جاء باسماعيل عليه السلام وهاجر في وادى مكة وكان آنذاك قفرا لا أنيس ولا جليس (٣) ، ثم دعا مرة اخرى كما قال تعالى : {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} (٤) .

فاستجاب الله دعاء ابراهيم عليه السلام فى رزقهم بالثمرات فى هذا الوادى فجبى (٥) اليه انواع الثمرات من كل بلد ، وكذلك جعل الله تعالى قلوب المسلمين تميل وتهفوا اليهم والى بلدهم الحرام دائما .

ودعا ابراهيم عليه السلام لأهل الحرم أن يبعث فيهم رسولا منهم ، قال تعالى : {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير ١٤١/١-١٤٧ ، وانظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير ١٠٢/١-١٠٨ ، الرحيق المختوم للمباركفورى ص ٢٢-٢٤ .
(٢) سورة البقرة : ١٢٦
(٣) القفر : مفازة لانبات فيها ولاماء ، مختار الصحاح ص٥٤٥ الصحاح (قفر) .
(٤) سورة ابراهيم : ٣٥-٣٧
(٥) جبى : أى جمع اليه وتحمل من كل النواحى الثمرات . زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى ١٠٦/٦ .